



أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له لا إله إلا هو وإليه النشور، أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه، وسلم وعلى ملة أبيينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر.

كنت قد قدمت بمق翠ات لحديث ذي شجون عن المرحلة الحرجة والحساسة والمنعطف الخطير الذي تمر به الثورة السورية هذه الأيام ولعل قادمها يكون أشد، ويعينا عن العواطف والتجنيات وإنصافاً للغير والذات أود ابتداء أن أطرح سؤالاً أسعى والجميع للإجابة عليه بهدوء تام بعيداً عن الجدال والسب والسب والسب، وأود ومن معي من الكرام أن نستنطق الأيام والأحداث لتجيب أو لتعين في حل لغز السؤال الذي سيطرح وهي كفيلة إذا ما استعرضناها بإجابة شافية وافية.

بادئ ذي بدء فإن إيماننا بربنا ويقيننا بعدم تخلف وعده يجعلنا على يقين بتحقق موعوده وإن تأخر تحققه إنما يكون بمقدار التخلف عن الأخذ بالأسباب، وتلك سنن ربانية ونوميس كونية لا تفرق بيننبي وولي وعامي، فكل البشر في ميزان العدل أسواء وقوانينه تسرى عليهم سواء بسواء شريفهم وضعيفهم.

ولئلا يظن ظان أننا متعلقون بالأسباب راكنون إليها معتمدون عليها غافلون عن مسببها فقد آثرت أن أبدأ بهذه المقدمة التي أؤمن بها إيماناً تاماً، والغفلة عن الأسباب والتقصير في الأخذ بها مخالفة صريحة واضحة لما أمر به مسببها وبقدر التقصير في الأخذ بها بقدر ما تكون النتائج ناقصة مبتورة، فكما أن الركون التام للأسباب من أسباب تخلف النصر فإن التقصير في الأخذ بها كذلك من أسباب الهزيمة وتتأخر موعد الله وبشراته لعباده المؤمنين.

بعد هذه المقدمة أطرح سؤالاً وسأسعى للإجابة عليه بشفافية تامة من خلال استعراض الأحداث واستنطق الأيام الخوالي
والله أسأل العون والسداد والرشاد:

من هو المسؤول يا ترى عن هذا المأذق الذي تمر به الثورة السورية المباركة ومن الذي أوصلها لهذا المنعطف وأوردها هذا المنحنى؟؟ وهو سؤال الساعة.

والجواب بكل شفافية ووضوح إن الذي أوصلنا لهذا المنعطف وجعل العالم كله يدفعنا للقطاف قبل أوانه ووضعنا بين أمرين أحلاهما مر وأيسرهما عسر، طرفاً لا أرى أحدهما يقل في الأهمية عن الآخر والتقديم والتأخير فيهما للترقيم فقط وليس من باب ترتيب الأولويات بحسب الأهميات فهما مستويان.

الطرف الأول (الغلاة) والثاني (الفصائل) وكلاهما مضطط بالمسؤولية بما آلت إليه الأمور في سوريا وما ستؤول إليه ما لم نفق فالوقت وإن ضاق لم يفت بعد.

الغلاة بعنترياتهم ومزايداتهم على الأمة وطاقاتها وقدراتها وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل تعداد لمزايداتهم على بعضهم وتلك لعمر الله قاصمة الظهر.

والفسائل بتشرذمها وتفرقها وإهارها للفرص واستهارها بالتضحيات المبذولة ووضع مصالحها فوق كل اعتبار حتى فقدت احترام الفاصل والداني.

أما الغلاة فقد برعوا في الخطابة وأنهلو العالم بحماسياتهم وهو خطاب محمود عند اللقاء محسوب لصاحب في الميدان لكنه لا يصلح لمخاطبة العالم، خلط الغلاة الأوراق وضرروا بالمصالح والمفاسد عرض الحائط وبنبذا فقه المآلات وراء ظهورهم وتنكروا للسياسة الشرعية وأغفلوا فوق ذلك كله الأسباب.

وأراد الغلاة أن تحل لغة الخطابة والحماس مكان جميع الخطابات فأرادوها في السياسة كما في المنابر كما في الميادين فهي مناسبة لسجال المزايدات!!، ونسوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يخاطب الأمم وقادتها كان يخاطبهم بما يعرف في الأعراف الدبلوماسية ببرتوكولات خطاب الملوك.

فحين خاطب كسرى وقيصر والمقوقس خاطبهم بلغة سيعتبرها جاهل لو صدرت عن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيمياً للكفار وتفخيمها لملوكهم وساستهم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس وإلى قيصر عظيم الروم، وحين كان يمضي صلحاً أو عقداً أو عهداً مع غير المسلمين فيأبون مصطلحات الإسلام كان صلى الله عليه وسلم يعمد إلى تغييرها بناءً على طلب القوم باللغة التي يفهمونها والمصطلحات التي اعتادوا عليها وإن أبي كاتب رسول الله أن يمسح لفظ الجاللة بناءً على طلب المصالح المشرك ورفض أن يمسح صفة رسول الله مد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ومسحها بنفسه واستبدلها بما طلب القوم.

إن استقرأنا الناقص لشرعنا وعلمنا الناقص بديننا جعل خطاب المزايدات في موقع الصدارة فهو يدغدغ العواطف ويلهب الحماس ويحرك المشاعر ويغيب العقل.

وأما الفسائل فحدث ولا حرج، يرون العالم قد أجمع أمره وأزمع على حسم سياسي وحل يضيع الثمرات المرجوة ويأبون إلا أن يخوضوا المعركة بشقيها منفردين، كل يفرد وحده ويطرد لرؤيته حتى فقدوا احترام أصدقائهم وحلفائهم وأضعفوا بتفرقهم موقفهم وحلفائهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، مصممون حتى اللحظة الأخيرة ألا يكون لهم كيان عسكري قوي ينبع عن مجلس سياسي واحد ليفرضوا على العالم رؤية واحدة للحل لا يضيع الجهاد والجهود، أضف إلى ذلك – وأقولها بحرقة وألم – أن الفسائل لم تقدم حتى اللحظة مشروعها تستطيع أن تجمع الناس عليه ومن لديه شيء من ذلك لا يملك الرؤية الواضحة لآلية التطبيق بل إن مرحلة الانتقال من العسكرية إلى الحكم لقطف ثمرة الجهاد المرجوة ليست واضحة في الأذهان ولم يتكلم فيها أحد حتى الساعة!!

وخلال هذه الأثناء بين مزايدات الغلاة الذين سيدفعون الفسائل في قادم الأيام أن تدخل المعركة السياسي مكرهة مجبرة ولما يشتد عودها ويستغلظ سوقها، ثم يكفرونهم ويصحونونهم ويخونونهم ولسان حالهم:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له *** إياك إياك أن تبتل بالماء

وبين عجز الفسائل وعجزها بما كسبت أيديها فقد أضعفوا بعدم تقديمها مشروعها واضحاً تجمع عليه الناس وبتفرقها موقفها وتکاد تخسر احترام الناس ثم احترام العالم لها ويوشك العالم أن يتجاوزها ويفرض الحل الذي يراه دون وضع اعتبار لها وإن أبى حاربها وقاتلها فهي – بتفرقها – لقمة سائفة وصياد سهل والحل يسير متعرٍ!!

وهنا أوجه صيحة النذير العريان للطرفين في الوقت الذي يوشك أن ينقضى ويفوتنا القطار جميعاً ولن يكون الخاسر طرفاً دون طرف فكلنا خاسرون دون ريب:

الفسائل أمامها فرصة تاريخية بأن توحد الرؤيا وال موقف وتواجه العالم وتجابه من يعتقدون أنهم أصحاب القرار بصوت

يواجهه ويغير حساباته ورؤاه، والغلاة عليهم أن يعيدوا النظر وينظروا إلى ما بين أيديهم من أسباب ويعيّمو الموقف بناء على فقه الممكن ويتحالفوا ويتألفوا مع إخوانهم للخروج بموقف قوي موحد يجبر العالم على تحقيق أعلى المطالب للثورة وعليهم أن يراغعوا ما آل إليه أمر الناس وبلغه حالهم في سبيل الله وخلع طاغية الشام، فلا خطاب المزايدات يجدي نفعا ولا تفرق الفسائل يجلب رفعا أو يغير وضعياً والعالم يراهن على تفرقنا ليفرض ما يريد فإذا تغير الحال تغيرت الرؤيا.

وحتى يراجع الطرفان مواقفهم بناء على رؤية ثاقبة ومعطيات دقيقة للقدرات والإمكانيات للخروج بتصور واضح لحل يكون في مصلحة الجميع سيظل الخطر قائما.

أخيراً فإننا لن نجاوز أن نكون الحال كذلك صلباً فنكسر أو لينين فنعصر وبين الصلاة واللين منزلة علمنا إياها سيد المرسلين وضاعت بين الطرفين.

حساب الكاتب على توينتر

المصادر: